العمل والمعاناة والمراقبة لله في دائرة التقوى الروحية والفكرية في ذلك كله... وفي قدرتها على مواجهة التحديات في الصراع الفكري في ساحة الدعوة، أو في مواجهة المشاكل الواقعية في ساحة الجهاد.

إنَّنا نعتقد أن الدراسة التي تتم على مستوى الإستغراق في الواقع الإنساني للمرأة، كما هو الواقع الإنساني للرجل هي السبيل الأفضل للوصول إلى النتائج المتوازنة. ننجز ذلك، ثم ندخل إلى فهم النصوص. وعلى أساس ذلك نتعرف إلى طبيعة الظروف التي تحركت النصوص فيها، والنظرة التي انطلقت منها. فلعلنا نجد بعض القرائن التي تصرف النص عن ظاهره ليكون له تفسير آخر لا يختلف عن الواقع الخارجي، أو لنكشف عدم سلامة الحديث بسبب مخالفته للأصول الثابتة للعقيدة؛ الأمر الذي يجعله مخالفاً للضَّرورة الدِّينية المستقاة من الكتاب والسنة، ونحو ذلك.

*** نماذج متعددة لتفوق المرأة**

وفي ضوء ما سبق نلاحظ، في المقارنة بين الرجل والمرأة اللَّذين يعيشان في ظروف ثقافيَّة واجتماعية وسياسية متشابهة، أنه من الصَّعب التمييز بينهما؛ إذ ليس من الضروري أن يكون وعي الرجل للمسألة الثقافية والإجتماعية والسياسية أكثر من وعي المرأة لها، بل قد نجد نماذج متعدِّدة لتفوق المرأة على الرجل في سعة النظرة، ودقة الفكر، وعمق الوعي، ووضوح الرؤية؛ وذلك من خلال ملاحظة بعض العناصر الداخلية أو الخارجية المميزة لها بشكل خاص. وهذا ما نلاحظه في بعض التجارب التاريخية التي عاشت فيها بعض النساء في ظروف متوازنة من خلال الظروف الملائمة لنشأتها العقلية والثقافية والاجتماعية. فقد استطاعت أن تؤكد موقعها الفاعل ومواقفها الثابتة المرتكزة إلى قاعدة الفكر والإيمان. وهذا ما حدثنا الله عنه في شخصية مريم، وامرأة فرعون، وما حدثنا التاريخ عنه في شخصية خديجة الكبرى أم المؤمنين(رض) وفاطمة الزهراء(ع) والسيدة زينب ابنة علي(ع).

إن المواقف التي تمثلت، في حياة هؤلاء النسوة العظيمات، تؤكِّد الوعي الكامل المنفتح على القضايا الكبرى التي ملأت حياتهن على مستوى حركة القوة في الوعي والمسؤولية والمواجهة للتحدِّيات المحيطة بهن في الساحة العامة.. وقد لا يملك الإنسان أن يفرق بأية ميزة عقلية، أو إيمانية، في القضايا المشتركة بينهن وبين الرجال الذين عاشوا في مرحلتهن.

almawaddah.be

وإذا كان بعض الناس يتحدَّث عن بعض الخصوصيات غير العادية في شخصيات هؤلاء النساء، فإننا لا نجد هناك خصوصية إلا الظروف الطبيعية[1] التي كفلت لهن إمكانات النمو الروحي والعقلي والإلتزام العملي بالمستوى الذي تتوازن فيه عناصر الشخصية بشكل طبيعي في مسألة النمو الذاتي. ولا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادي، لأن ذلك لا يخضع لأي إثبات قطعي، مع ملاحظة أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن اصطفاء إحدى النساء، وهي مريم، عليها السلام، من خلال الروحانية التي تميزها والسلوك المستقيم في طاعتها لله. وهذا واضح في ما قصَّه الله من ملامح شخصيتها، عندما كفلها زكريا، وعندما واجهت الموقف الصعب في حملها لعيسى عليه السلام، وفي ولادتها له.

وإذا كان الله قد وجَّهها من خلال الروح الذي أرسله إليها فإن ذلك لا يمثِّل حالة غيبية[2] في الذات بل يمثل لطفاً[3] إلهياً في التوجيه العملي والتثبيت الروحي، على أساس ممارستها الطبيعية للموقف في هذا الخط من خلال عناصرها الشخصية الإنسانية التي كانت تعاني من نقاط الضَّعف الإنساني في داخلها، تماماً كما هي المسألة في الرجل في الحالات المماثلة.. وهذا يعني أنَّنا لا نجد فرقاً بين الرجل والمرأة عند تعرُّض أيٍّ منهما للتجربة القاسية في الموقف الذي يرفضه المجتمع من دون أن يملك فيه أي عذرٍ معقول؛ الأمر الذي يخرج فيه الموقف عن القائمة المتمثِّلة فيه من حيث القيمة الإجتماعية السلبية في دائرة الانحراف الأخلاقي.

* ملكة سبأ نموذج من القصص القرآني

وعندما ندرس التاريخ في القصص القرآني، وفي جانب آخر غير الجانب الإيماني، فإنَّنا نجد شخصية ملكة سبأ في ما قصه القرآن الكريم علينا من أمرها، وفي حوارها مع قومها عند وصول رسالة سليمان إليها، فقد جمعت قومها لتستشيرهم في الموقف الذي يجب أن تتخذه من تهديد سليمان لها ولقومها ونوعية الرد الذي ترد به على الرسالة. ولعل هذا اللجوء إلى الإستشارة يوحي بوجود عقل راجح تتميَّز به شخصيتها، وهو ما يجعلها لا تعطي الرأي الذي تملك إقراره من موقعها كملكة،

---

(١) المقصود بذلك بما يختص بالسيدة فاطمة الزهراء (ع) هو أجواء البيت الرسالي الذي كان النبي محمد (ص) يرعاها وينميها فيه بأخلاقه الرسولية وروحيته الصافية النقية في آفاق السمو الروحي المنفتح على الوحي الذي اختزنته في عقلها وقلبها وروحها فكانت الإنسانة المسلمة التي عاشت الاسلام كله في ينابيعه المتفجرة من روح أبيها(ص) فكراً وعاطفة وسلوكاً.

(٢) المقصود من الكلمة أنها كانت تتحرك في روحيتها من موقع إرادتها واختيارها وعصمتها المنفتحة على اللطف الإلهي لا من موقع الغيب الذي يحركها بغير اختيار.

(٣) إشارة إلى العصمة التي يمنحها الله لأوليائه من خلال لطفه.

almawaddah.be